سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٦٨)

برنامج الدرس الواحد

تطريز

شرح دعاء قنوت الوتر

تصنيف العلامة
محمد بن صالح بن محمد ابن عثيمين
المتوفى سنة (١٤٢١) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



النسخة الثانية






تطريز
شرح
دعاءِ قُنوتِ الوتر








سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٦٨)

تطريز

شرح دعاء قنوت الوتر

تصنيف العلامة

محمد بن صالح بن محمد ابن عثيمين

المتوفى سنة (١٤٢١) رحمه الله تعالى

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

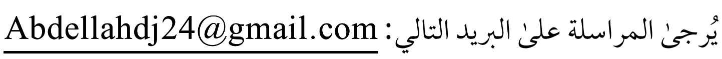



النسخة الثانية




بسم الله الرحمن الرحيم

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛



يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com







الحمد لله ربِّنا، وأشــهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شــريك له، وأشــهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعدُ:

فهذا هو (**الدَّرس الرَّابع**) من (**برنامج الدَّرس الواحد السَّــادس**)، والكتاب المقروء هو «**شَرْحُ دُعَاءِ قُنُوتِ الوِتْرِ**»، للعلَّامة ابنِ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقبل الشُّروع في إقرائه لا بُدَّ من ذِكْر مُقدِّمتين اثنتين:







المُقَدِّمَةُ الأولَى: التَّعريفُ بالمُصَنِّف

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ:

- **المقصد الأوَّل: جرُّ نَسَبِه:**

هو الشَّــيخ العلَّامة مُحمَّدُ بنُ صَــالِح بنِ مُحمَّدٍ التَّميميُّ. يُكْنَى بــــــ(أبي عبد الله). ويُعرَفُ بـ(ابن عثيمينَ)؛ نسبةً إلى أحدِ أجدادِهِ، وبـ(علَّامة القَصيم في زمانه).

- **المقصد الثَّاني: تاريخ مولده:**

وُلِدَ في السَّابعِ والعشرينَ من شهرِ رمضانَ، سنَة سبعٍ وأربعينَ بعد الثَّلاثمائة والألْف (١٣٤٧   ).

- **المقصد الثَّالث: تاريخ وفاته:**

تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الخامس عشر مِن شهرِ شوَّالٍ، سنَة إحدَى وعشرينَ بعد الأربعمائةِ والألف (١٤٢١)، وله مِنَ العُمُرِ أربعٌ وسبعونَ (٧٤) سنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعةً.









المُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ: التَّعْرِيفُ بالمُصَنَّف

وتنتظم في ثلاثة مقاصدَ أيضًا:

- **المقصد الأوَّل: تحقيق عنوانه:**

طُبِعت هذه الرِّسالةُ اللَّطيفة في حياة صاحبِها باسمِ: «شَرْحُ دُعَاءِ قُنُوتِ الوِتْرِ».

- **المقصد الثَّاني: بيان موضوعه:**

موضـوع هذه الرِّسـالة: إيضـاح المَبانِي وكشـفُ المعانِي الَّتي وردَتْ في دعاء قنوت الوِتْرِ المَرْوِيِّ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسَيأتِي ذِكرُ هذا الدُّعاء في أوَّل الرِّسالةِ.

- **المقصد الثَّالث: توضيح منهجه:**

ذكر المصـنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى سـياقَ الحديثِ، ثمَّ عمَدَ بعد ذلك إلى تفصـيلِه جملةً جملةً، وبيانِ معنى كُلِّ جملةٍ على وجهِ الإفراد.

وقد ظهر بجلاءٍ فِي هذا الشَّـرحِ عِنايتُهُ بإيضـاح عقيدةِ أهل السُّـنَّة والجماعة، وكمالُ معرفتِه بِها؛ فانطوَتْ كثيرٌ مِن الجُمَل فِي الإيضـاح والبيان على قواعدَ عِدَّةٍ تتعلَّق بالمعتقد الصَّحيح.








قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَدِيثُ

ورد في «مسند الإمام أحمدَ» عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الوِتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**».

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى صَدْرَ هذا الكتابِ الحديثَ الواردَ فِي دعاء قنوت الوتر عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الحديثُ فِي أصلِه صحيحٌ، فقد ثبتَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليمُه الحسنَ هؤلاءِ الكلماتِ أن يَدْعُوَ بِهِنَّ. إلَّا أنَّ الرُّواة اختلفوا في جملة: (فِي قُنُوتِ الوِتْرِ)، فمنهم مَن ذكرها، ومنهم مَن أسقطها.

والمحفوظ: أنَّ هذا مِن الدُّعاء العامِّ، وأنَّ زيادةَ: (فِي قُنُوتِ الوِتْرِ) شَاذَّةٌ؛ كما ذهب إليه بعض الحُفَّاظ؛ ومنهم: الدَّارَقُطْنِيُّ في «العِلَل».

فالحديثُ المحفوظُ: (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ)، دونَ تقييد ذلك القولِ بـ(قُنوت الوِتر).

وإذا قالها الإنسان في قُنوت الوِتر كان ذلك مَشْروعًا بالإجماعِ؛ لأنَّها مِن جملة الدُّعاء الثَّابت عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

على أنَّ **قنوتَ الوِتر لا يُحفَظُ فيه حديثٌ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**، كما ذهب إليه جماعةٌ مِن الحُفَّاظِ؛ منهم: أبو بكرٍ ابنُ خُزَيْمَةَ، وإنَّما ثبت هذا عن الصَّحابة - رضوان الله عنهم - فَمَنْ بعدَهم مِن التَّابعين وأتباعِ التَّابعين. فهذه الآثار دالَّةٌ على أنَّ الوِترَ محلٌّ للدُّعاء فيه، وذلك حالَ القنوتِ.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الشَّرح

«**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**»؛ أي دُلَّنا على الحقِّ، ووفِّقْنَا للعمل به؛ وذلك لأنَّ الهداية التَّامَّة النَّافعةَ هي الَّتي يجمعُ الله فيها للعبد بين العلم والعمل؛ لأنَّ الهدايةَ بدون عملٍ لا تنفعُ، بل هي ضررٌ؛ لأنَّ الإنسان إذا لم يعملْ بما عَلِمَ صار علمُه وَبَالًا عليه.

مثالُ الهدايةِ العلميَّة بدون العمل: قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلت: ١٧]؛ أي بَيَّنَّا لهم الطَّريقَ وأبلغْنَاهم العلمَ، ولكنَّهم - والعياذ بالله - استحبُّوا العَمَى على الهدى.

ومِن ذلك أيضًا - من الهداية الَّتي هي العلمُ وبيان الحقِّ -: قولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للنَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشُّورى]؛ أي تدلُّ وتُبيِّنُ وتُعلِّمُ النَّاسَ الصِّراط المستقيمَ.

وأمَّا الهدايةُ الَّتي بمعنى (التَّوفيق): فمثلُ قولِه تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، هذه هداية التَّوفيق للعمل، فالرَّسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يستطيعُ أن يُوَفِّقَ أحدًا للعملِ الصَّالح أبدًا، ولو كان يستطيعُ ذلك لَاسْتطاعَ أن يَهْدِي عمَّه أبَا طالبٍ، وقد حاول معه حتَّى قال له عند وفاتِه - أي قال لعمِّه عند وفاة عمِّه -: «**يَا عَمُّ؛ قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، ولكن قد سبقتْ من الله عَزَّوَجَلَّ الكلمةُ بأنَّه من أهل النَّار - والعياذ بالله - فلم يقلْ: (لا إله إلَّا الله)، وكان آخرَ ما قال: (هو على مِلَّةِ

عبد المطَّلب)، لكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أَذِن لرسولِه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يَشْفعَ له، لا لأنَّه عمُّه، لكن لأنَّه قام بالدِّفاع عن النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعن الإسلام، فَشَفَع النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في عمِّه فكان في ضَحْضَاحٍ مِن نارٍ وعليه نَعْلان مِن نارٍ يَغْلِي منهما دِماغُه، وإنَّه لَأَهْونُ أهل النَّار عذابًا، قال النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**».

فإذا قُلْنا في دعاء القنوتِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**» فإنَّنا نَسألُ الهدايَتَيْن: هداية العلم، وهداية العملِ، كما أنَّ قولَه تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة] يشمل الهدايتين: هدايةَ العلم، وهدايةَ العمل.

فينبغي للقارئ أن يستحضِرَ أنَّه يسألُ الهدايَتَين: هدايةَ العلم، وهدايةَ العملِ.

وقولُه: «**فِيمَنْ هَدَيْتَ**» هذه مِن باب التَّوسُّلِ بإنعام الله - تعالى - على مَن هداه، أن يُنْعِم علينا نحن أيضًا بالهداية، ويعني: أنَّنا نسألُك الهداية، فإنَّ ذلك مِن مقتضى رَحمتك وحكمتِكَ، ومِن سابقِ فضلِك، فإنَّك قد هَدَيْتَ أُناسًا آخرين.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بيَّن المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى فيما سلفَ إيضاحَ الجملةِ الأولى مِنَ الحديثِ، وهي قولُ الدَّاعي: («**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**»)، فذكرَ أنَّ الدَّاعي إذا دعا بِهذا الدُّعاء فإنَّه ينتظِمُ في دُعائه سُؤالٌ وتوسُّلٌ.

فأمَّا السُّؤالُ: ففي قولِه: («**اللَّهُمَّ اهْدِنَا**»)؛ فإنَّه يسألُ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يهديَه.

والهدايةُ المسؤولةُ هنا هي (الهداية التَّامَّة النَّافعةُ)، **ولا تكون الهدايةُ تامَّةً نافعةً حتَّى**

تجمع نوعين اثنين:

- ✓ **أَحَدُهُمَا**: هدايةُ العلمِ.
- ✓ **والآخَرُ**: هدايةُ العملِ.

أمَّا إذا وُفِّقَ الإنســانُ إلى علمٍ بلا عملٍ، أو رُزِقَ عَمَلًا بلا علمٍ؛ فإنَّه لا يكون مهديًّا، بل هذا حال الضُّلَّال والمغضوبِ عليهم من اليهود والنَّصارى. وإنَّما يكون العبدُ مُهتديًا إذا رزقه الله الهدايةَ فِي العلم والعمل جميعًا؛ وهذه حالُ كُمَّلِ النَّاس مِن عبادِ اللهِ المُخْلَصِين.

وهاتان الهدايتان - وهما هداية العلم والعمل - هي الَّتي جاءَ بِها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التَّوبة:٣٣]، فإنَّ (**الهدى**): إشــارةٌ إلى العلم النَّافع، و(**دين الحقِّ**): إشــارةٌ إلى العمل الصَّالح. فالهدايتان مُنتَظِمَتان فيما جاء به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأمَّا الأمر المُتوسَّلُ به: فهو توسُّلُ العبدِ إلى ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بتفضُّلِه وإنعامِه على مَن هدى، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يهدي مَن يشــاءُ مِن خَلْقِه، فمِن صــفاتِه - ســبحانه -: هدايتُهُ للخلقِ، فالعبد يَتوسَّــلُ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يقدِرُ عليه عَزَّ وَجَلَّ من الهدايةِ - وهي بيدِه وأمرِه - أن يجعَلَه مِن أولئك المَهدِيِّين.

ومِن النُّكت اللَّطيفة في هذا الحديث: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا أرشـدَ الحســنَ بنَ عَلِيٍّ إلى الدُّعاء، ابتدأه بأمرٍ جامعٍ، فأرشَده إلى سؤال الهداية؛ لأنَّ العبدَ إذا هُدِي حصلَ له كُلُّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة، وإذا ضلَّ لَحِقَه كُلُّ شرٍّ في الدُّنيا والآخرة.

فلَو لَمْ يكُن مِن تعليم النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسنَ إلَّا هذه الجملة؛ لكان كافيًا.

ولذلك فإنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ردَّ سورةَ الفاتحة إلى آيَتَيْن منها، هُمَا لُبُّها وجَوْهَرُهَا:

- **إِحْدَاهُمَا**: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].
- **والأُخْرَى**: قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].

فالأُولى: إخبارٌ عمَّا يجبُ على العبد في توحيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والآيةُ الثَّانية: إخبارٌ عمَّا يحسُنُ بالعبدِ طلبُه، وهو سؤالُ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الهدايةَ.

ولذلك فإنَّ هذه السُّورة - وهي سورة الفاتحةِ - الَّتي هي أصلُ القرآن، بل هي أصلُ الكُتُب المُنَزَّلة؛ كما جاء ذلك عن الحسن البصريِّ، وبَسَطَه ابنُ القيِّم في كتاب «مدارج السَّالكين» = أصلُ السُّؤال فيها هو سُؤال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الهدايةَ؛ وهذا يُنْبِئُ عن عظيمِ مرتبتِها، وعُلُوِّ منزلتها، إذْ يُكرِّرُ العبدُ في صلواتِه كُلِّهَا قولَه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«**وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ**»: عافِنا مِن أمراض القلوب، وأمراض الأبدان.

وينبغي لك - يا أخي - أن تستحضرَ وأنت تدعو: أنَّ الله يعافيك مِن أمراض البدن، وأمراض القلبِ؛ لأنَّ أمراض القلب أعظمُ من أمراض البدنِ، ولذلك نقول في دعاء القنوت: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا**».

أمراض الأبدان معروفةٌ، لكنَّ أمراضَ القلوبِ تعود إلى شيئين:

الأوَّل: أمراض الشَّهوات؛ الَّتي مَنشؤُها: الهوى.

الثَّاني: أمراض الشُّبهاتِ؛ الَّتي مَنشؤُها: الجهل.

فالأوَّل: أمراض الشَّهوات الَّتي مَنشؤها الهوى: أن يعرف الإنسان الحقَّ، لكن لا يريدُه؛ لأنَّ له هوًى مُخالِفًا لِمَا جاء به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والثَّاني: أمراض الشُّبهات الَّتي مَنشؤُها الجهل؛ لأنَّ الجاهلَ يفعلُ الباطل يظنُّه حقًّا، وهذا مرضٌ خطيرٌ جدًّا.

فأنتَ تسأل الله المعافاةَ والعافية مِن أمراض الأبدان، ومِن أمراض القلوب، الَّتي هي أمراض الشُّبهات، وأمراض الشَّهوات.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ تعالى هنا بيانَ الجملة الثَّانية من الدُّعاء؛ وهي قولُ الدَّاعي: («**وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ**»).

وقد جمعتِ الشَّـــريعةُ - في غير حديثٍ - بين ســـؤالِ العفوْ والعافية؛ **لأنَّ العبد بين حالين:**

- **إحداهُمَا**: حالٌ انقضى منها وفاتَتْ عليه.
- **والأُخْرَى**: حالٌ هو فيها ويَستقبِلُ ما بعدَها.

فهو مُفتقِرٌ في الحال الَّتي ســـلَفَتْ إلى عفوِ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ومُفتقِرٌ في الحالِ الباقية إلى العافيةِ من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

- فإذا دعا الدَّاعي ربَّه فقال: (اللَّهُمَّ إنِّي أسألك العفوَ)؛ تعلَّق هذا بما مضى.
- وإذا قال: (وأسألك العافية)؛ تعلَّق هذا بما بقي ممَّا هو حاضِرٌ فيه أو مستقبِلٌ له.

فلذلك؛ ما أُعطِي العبدُ مِن الدُّعاء كما أُعطِيَ في سؤالِ العفوِ والعافيةِ.

وأُرشِـدَ العبدُ إلى تكرار الدُّعاء به في طَرَفَيِ النَّهار صـباحًا ومسـاءً، إذْ يقول في دُعائِهِ إذا أصـبحَ وإذا أمســى: (اللَّهُمَّ إنِّي أســأَلُكَ العفوَ والعافيةَ في الدُّنيا والآخرة، اللَّهُمَّ إنِّي أســأَلُك العفو والعافية في ديني ودنياي...) إلى آخِرِ الذِّكر المعروفِ الثَّابتِ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وجاء الحديثُ هنا مقتصِرًا في الدُّعاء على العافيةِ؛ لأنَّ مناسبَةَ الجُمَل تقتضي ذلك، فإنَّ الجُمَلَ كُلَّها يُرادُ بِها: ما يُسْـتَقبَل؛ («**اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**»): فيمَا نتقدَّمُهُ مِن أحوالنا، («**وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ**»).

وقد بيَّن المصـنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى أنَّ العافيةَ المَسْـؤُولةَ تجمعُ طلبَ السَّـلامة (من أمراض القلوبِ، وأمراض الأبدان)؛ **لأنَّ العبدَ تَعْتَوِرُه نوعان من الأمراض:**

- **أَحَدُهُمَا**: أمراضٌ بدَنيَّةٌ حِسِّيَّةٌ.

- **والآخَرُ**: أمراضٌ قلبِيَّةٌ رَوْحَانيَّةٌ.

وهذه الأمراض أشدُّها: الأمراض القَلبيَّةُ؛ لأنَّ الأمراض الحسِّيَّة قد يَصبِرُ العبد عليها، ولكنَّ الأمراض القلبيَّة قد لا يَصبِر العبدُ عليها، ورُبَّما انسلخَ الإنسانُ بمرضِ شهوةٍ أو شبهةٍ من الإسلام إلى الكفرِ، وقلَّ أنْ ينسَلِخَ الإنسانُ بسبب مَرضِ بدنٍ من الإسلام إلى الكفر.

وقد ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنَّ **أمراض القلوب نوعان**:

- **أَحَدُهُمَا**: (أمراضُ الشَّهوات الَّتي مَنشؤُها الهوى).
- **والثَّانِي**: (أمراضُ الشُّبهاتِ الَّتي مَنشؤُها الجهلُ).

وإذا كانتْ أمراضُ الشَّهواتِ يحمِلُ عليها الهوى: فإنَّها تُدْفَعُ بالصَّبْر، وإذا كانت أمراضُ الشُّبهات يحمل عليها الجهل: فإنَّه يَدْفَعُهَا العلمُ. ولذلك فإنَّ العبدَ إذا رُزِق العلمَ اندفعتْ عنه أمراضُ الشُّبهاتِ، وإذا رُزِق الصَّبْرَ اندفعتْ عنه أمراض الشَّهوات.

والعلمُ يُشَارُ إليه في الخطاب القرآنِيِّ كثيرًا بـ(اليقين)؛ لأنَّ أنفعَ العلم هو العلمُ الرَّاكد الثَّابتُ، **واليقين**: أصلٌ دالٌّ على الثَّبات؛ كما يُقَال: يَقِنَتْ نفسُ فلانٍ؛ يعني استقرَّت روحُه بعد موتِه، وسُمِّيَ الموتُ (يقينًا)؛ لأنَّ نفسَ الميِّتِ تَسْكُنُ، ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة السَّجدةِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السَّجدة]، إذْ بِصبْرِهِم دفعوا أمراض الشَّهوات، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السَّجدة]، إذْ بيقِينِهم دفعوا أمراضَ الشُّبهات.

ومن هنا؛ قال جماعةٌ مِن أهل العلم - منهم شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى -: (بالصَّبْر واليقين؛ تُنالُ الإمامةُ في الدِّين)؛ لأنَّ **العبدَ لا يُقيِّدُه عن الإمامة إلَّا**

الذُّنوب؛ فكما أنَّ القُيُودَ تثقلُ بالإنسـانِ عن نفسِـه وسَـعيِه إذا وُضِـعَت في يديهِ ورجليهِ؛ فكذلك الذُّنوبُ إذا أثقلتْ قلبَهُ قيَّدَتْه، وهذه الذُّنوب إمَّا أن تكون ناشِئةً مِن شهوةٍ فتُدفَع بِصَبْرٍ، وإمَّا أن تكون قد حَملَ عليها الشُّبهة فيَدفعها العلم واليقينُ.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وقولنا: «وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»؛ أي كُنْ وليًّا لنا.

والولاية نوعان: عامَّةٌ وخاصَّةٌ.

فالولاية الخاصَّة: للمؤمنين خاصَّةً، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فتسأل اللهَ - تعالى - الوَلاية الخاصَّة، الَّتي تقتضي العنايةَ بمن تولَّاه الله عَزَّوَجَلَّ والتَّوفيق لما يُحِبُّه ويرضاه.

أمَّا الولاية العامَّة: فهي تشملُ كُلَّ أحدٍ، فالله وليُّ كُلِّ أحدٍ، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام]، وهذا عامٌّ لكُلِّ أحدٍ، ثُمَّ قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأنعام: ٦٢].

لكن عندما نقول: (اللَّهُمَّ اجعلْنا من أوليائك)، أو (اللَّهُمَّ تولَّنا)، فإنَّنا نُريد بِها الولاية الخاصَّة، وهي تقتضي العناية والتَّوفيقَ لما يُحِبُّه ويرضاه.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذَكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذه الجملة بيانَ قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»)، وأنَّ معناها: (كُنْ) يا الله (وليًّا لنا).

والولاية المضافةُ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نوعان اثنان:

- **أَحَدُهُمَا**: وِلايتُه للمؤمنين.
- **والآخَرُ**: وِلايتُه للخلق أجمعين.

فأمَّا النَّوع الأوَّل - وهي وِلايةُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمؤمنين -: فيُرادُ بِها التَّوفيق والنَّصر والتَّعزير والتَّأييد.

وأمَّا النَّوع الثَّاني - وهو وِلايته للخلقِ أجمعين -: فهي كونُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ربَّهُم ومالِكَهم ومُتَصَرِّفَهم.

ولا ريبَ أنَّ العبدَ إذا دعا - ولا سيَّما إذا كان الدُّعاء صادرًا مِمَّن أُوتِيَ جوامعَ الكَلِمِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - فإنَّه لا يُريد وِلايةً يشارِكُه فيها الكافِرُ والفاجِرُ، وإنَّما يُرِيد وِلايةً خاصَّةً، وهي وِلايةُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمُؤمِنين بتأييدهم ونَصْرِهم وتثبيتهم وتوفيقهم لمَحَابِّهِ ومراضيه، ولذلك فإنَّ الدَّاعي إذا دعا بمثل هذا كقولِه: (اللَّهُمَّ اجعلْنا من أوليائك)؛ فإنَّما يُلاحِظ هذ المعنى الخاصَّ الَّذي هو مِن أعظم المطالب.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقولُنا: «**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»: البَرَكَةُ هي الخير الكثيرُ الثَّابِتُ، ويُعِيدُ العلماءُ ذلك إلى اشتقاقِ هذه الكلِمَةِ؛ فإنَّها مِنَ (البِرْكَةِ) - بكسر الباء -؛ وهي مَجْمَعُ الماءِ، فهي شيءٌ واسعٌ ماؤُه كثيرٌ ثابِتٌ، فالبَرَكَة هي الخيرات الكثيرة الثَّابتة، والمعنى: أي أنزِلْ لي البَركةَ فيما أعطيْتَنِي.

«**فِيمَا أَعْطَيْتَ**»؛ أي أعطيتَ مِنَ المال والولَدِ والعلمِ، وغيرِ ذلك ممَّا أعطى الله عَزَّوَجَلَّ، فتَسألُ الله البَركةَ فيه؛ لأنَّ الله إذا لم يُبارِكْ لك فيما أعطاكَ حُرِمْتَ خيرًا كثيرًا.

ما أكثر النَّاس الَّذين عندهم مالٌ كثيرٌ، لكنَّهم في عِداد الفقراء! لأنَّهم لا ينتفعون بمالِهم، يجمعونه ولا ينتفعون به، وهذا مِن نزْعِ البَركةِ.

كثيرٌ مِن النَّاس عنده أولادٌ، لكنَّ أولادَه لا ينفعونه؛ لما فيهم من عقوقٍ، وهؤلاء لم يُبَارَكْ لهم في أولادهم.

تجد بعض النَّاس أعطاه الله عِلْمًا كثيرًا، لكنَّه بمنزلَةِ الأُمِّيِّ، لا يظهرُ أثَرُ العلمِ عليه في عبادتِه، ولا في أخلاقِه، ولا في سلوكِه، ولا في معاملتِه مع النَّاس، بل قد يُكْسِبه العلمُ استكبارًا على عباد الله، وعُلُوًّا عليهم، واحتقارًا لهم، وما عَلِمَ هذا أنَّ الَّذي مَنَّ عليه بالعلمِ هو اللهُ، تَجدُه لم ينتفعِ النَّاسُ بعلمِه، لا بِتَدريسٍ، ولا بِتوجيهٍ، ولا بتأليفٍ، بل هو منحصِرٌ على نفسِه، وهذا - بلا شَكٍّ - حِرمَانٌ عظيمٌ، مع أنَّ العلمَ مِنْ أَبْرَكِ ما يُعطيهِ الله للعبدِ؛ لأنَّ العلمَ إذا علَّمْتَه غيرَك ونَشَرْتَه بينَ النَّاسِ أُجِرْتَ على ذلك مِن عِدَّةِ وُجوهٍ:

الأَوَّل: أنَّ في نشرِكَ للعلم نشْرًا لِدِينِ الله عَزَّوَجَلَّ، فتكونُ من المجاهدين في سبيل الله؛ لأنَّك تفتحُ القلوبَ بالعلمِ، كما يفتحُ المجاهدُ البلادَ بالسِّلاح والإيمان.

الثَّانِي: مِن بركة نشرِ العلمِ وتعليمِه: أنَّ فيه حفظًا لشريعة الله عَزَّوَجَلَّ، وحمايةً لها؛ لأنَّه لولا العلمُ لم تُحْفَظِ الشَّرِيعةُ.

الثَّالث: مِن بركةِ نشرِ العلمِ، أنَّك تُحْسِنُ إلى هذا الَّذي علَّمْتَه؛ لأنَّك تُبَصِّرُهُ في دينِ الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا عبدَ اللهَ على بصيرةٍ كان لكَ مِثلُ أجرِه؛ لأنَّك أنتَ الَّذي دَلَلْتَه على الخير، و«**الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**».

الرَّابع: أنَّ فِي نشرِ العلم وتعلمِيه زيادةً له، فعِلْمُ العالِم يزيدُ إذا علَّمَ النَّاسَ؛ لأنَّه استذكارٌ لِمَا حَفِظَ وانْفِتاحٌ لِمَا لم يَحفظْ، كما قال القائل:

يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

أي إذا أمسكْتَهُ ولم تُعلِّمْه نقصَ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فيما سلف بيانَ معنَى الجملة الرَّابعةِ من الدُّعاء؛ وهي قولُه: («**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»)؛ فبيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنَّ (**البركةَ** هي الخيرُ الكثير)؛ بناءً على الأصلِ الموضوعِ لهذا المعنى في لسان العرب؛ وأنَّه مُشتَقٌّ مِن (البِرْكَةِ) الَّتي (هي مَجْمَعُ الماء)، (فالبَرَكَة هي الخيرات الكثيرة الثَّابتة). فقولُ الدَّاعي: «**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»؛ أي أنزِل علينا خيرًا كثيرًا مباركًا فيما أعطَيْتنا إيَّاه.

والعطاءُ الَّذي يُمْنَحُهُ العبدُ يَتنوَّعُ إلى أنواعٍ كثيرةٍ، مِن ذلك: (المالُ، والولدُ، والعلمُ) - كما ذكر المُصنِّفُ.

وليســـتْ منفعةُ العطاء بكونِهِ في يدِ الإنســـان، ولكنَّ منفعةَ العطاءَ بكونه مباركًا فيه، ولذلك؛ فإنَّ الإنسـانَ لا يفرحُ بِوُصـولِ المدَدِ والعَطاء إليه مِن مالٍ أو علمٍ أو ولدٍ؛ وإنَّما يَفرحُ إذا حلَّت فيه البَركةُ، فإذا كان عِلْمُك مُبَارِكًا، ووَلَدُكَ مباركًا، ومَالُكَ مُباركًا؛ فعند ذلك حُقَّ لك أن تفرحَ، أمَّا مُجرَّدُ وُجُودِه في يَدِك، وَجَريانُ حُكْمِك عليه: فهذا لا يُفْرَحُ به؛ فإنَّ الإنســـانَ قد يكون له مالٌ فيَبْخَلُ به ولا يُنْفِقُه فِي وجوه الخير. ورُبَّما رُزِق ولدًا كان عاقًّا له لا ينتفع به أبدًا. ومِن النَّاس مَن يحصل له هذا في العلم؛ فيُرْزَقُ عِلْمًا لكن لا تظهر آثارُ ذلك العلم عليه، لا في خُلُقِه، ولا في نُسُــكِه، بل يكون أجنبيًّا عن العلم في مظهرِه ومنطِقِه ومعاملتِه للنَّاس، ورُبَّما تكبَّر على النَّاس بذلك.

واستطردَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلى بيانِ أنَّ العلمَ مِنْ أشَدِّ الأشياءِ بركةً، والتَّعبيرُ عن (أفعل التَّفضيل) فِي هذا البِناءِ بِقَول: (أَبْرَك) وهو الَّذي استعمَله المُصنِّف في قوله: (مع أنَّ العلمَ مِن أبرَكِ ما يُعْطِيه اللهُ للعبد) لَحْنٌ، فهو خلافُ اللِّســـانِ العربيِّ؛ فإنَّه لا يُفضَّــلُ به على هذا؛ لأنَّ بناءَهُ ليس ثُلَاثيًّا، وإنَّما يُضــاف إليه فعلٌ دالٌّ على التَّفضــيل. فقولُ النَّاس: (أَبْرَك الأشياء كذا) أو (أبرك العلم كذا): لَحْنٌ.

ثُمَّ بيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنَّ العلمَ له بركةٌ بنشرِه بينَ النَّاس، فذكر مِن وجوه بركتِه:

أَوَّلُهَا: (أنَّ في نشرِ العلم نشرًا لدين الله، فيكون المُعلِّم مِن المجاهدين في سبيل الله؛ لأنَّه يفتح القلوبَ بالعلم، كما يفتح المجاهدُ البلدَ بالسِّـلاح والإيمان)، فلا ريبَ أنَّ الجهادَ فِي نشــرِ العلم أشــقُّ مِنَ الجهاد بمقاتلة الكفَّار؛ لأنَّ القائمَ به قليلٌ، والمُسَــاعدَ عليه نادرٌ؛ كما ذكر ابنُ القيِّم في «مفتاح دار السَّعادة».

ثُمَّ ذكرَ (مِن بركة نشــر العلم: أنَّ فيه حفظًا لشــريعة الله عَزَّوَجَلَّ، وحمايةً لها)، فبِنَشْــرِ

العلم يُحفَظُ الشَّرعُ، وهذا هو نَسَقُ هذه الأُمَّة، والسَّمْتُ الَّذي تحيا عليه؛ كما روى أبو داودَ بسندٍ صحيحٍ مِن حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ»، فهؤلاءِ هُمُ القَائِمُون بحفظ الدِّين، بنشرِ العلم بإسماعه لمن يَخْلُفُهُم في قرون الأُمَّة.

ثُمَّ ذكر وجهًا ثالثًا (مِن بركة نشر العلم): وهو (أنَّك تُحْسِنُ إلى مَن علَّمْتَهُ وتُبَصِّره بِدِين الله)، ويكون ما يَعْمَلُه مِنَ الخير فِي ميزانِ عملِك؛ لأنَّك أنتَ الَّذي دَلَلْتَهُ عليه، وقد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، وكثيرٌ مِنَ النَّاس لا يفهمُ مِن معنى هذه الآية إلَّا الإحسانَ بالإنفاق بالمال، وأعظمُ مِن ذلك: الإحسانُ إلى النَّاس بما فيه صلاحُ قلوبِهم، وأصلُ ذلك ورأسُه: نشرُ العلم، وبيانُ الشَّريعة، وإعلاءُ معالم المِلَّة الحَنيفيَّة.

ثُمَّ ذكر وجهًا رابعًا مِن بركة العلم: وهو (أنَّ نشرَ العلم وتعليمَه هو زيادةٌ له)، فيحصل للعالِم مِن الزِّيادة في العلم ما لم يكن عنده من قبل؛ ذلك أنَّه نَشَر علمًا فأثمر له عِلْمًا جديدًا؛ كما قال أبو إسحاق الأَلْبيريُّ فِي «تَائِيَّتِهِ» المشهورةِ في نصيحةِ ولدِه:

(يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ   وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا)

فإذا أنفقَ الإنسانُ مِن العلمِ زاده الله عَزَّوَجَلَّ عِلمًا، وإذا قَبَضَ قُبِضَ العلمُ عنه.

إذا فرغْنا مِن بيانِ هذا المعنى؛ فإنَّكم سمِعْتُم أنَّ فِي الدُّعاء الَّذي دعا به النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه قال: «**وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا أَعْطَيْتَ**»، فعدَّاه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بحرف الجرِّ وهو (اللَّام)، وقد حصَل لِي عارضٌ لطيفٌ فِي هذه اللَّفظة في تصرُّف الشَّرع، فإنَّ الأدعية الَّتي وردتْ في الشَّرع جاءتْ بتعديتِها:

- إمَّا بتعديتها بـــ (فِي)؛ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داعيا لمن جاء بالزَّكاة: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ**».
- وإمَّا أن تُعَدَّى بـ (اللَّام)؛ كما فِي هذا الحديث.
- وإمَّا بـ (على)؛ كما فِي قول: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ**».
- واجتمعا في الدُّعاء للمتزوِّج: «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا وبَارَكَ عَلَيْكُمَا**».

[مسألةٌ]: هل جاء في الشَّرْع (بَارَكَكَ اللهُ)؟

[الجواب]: لا نعلمُ شيئًا في الشَّرع جاء بذلك.

وليس هذا هو منتهى العلم، بل منتهى العلم: لماذا لم يأتِ هذا في الشَّـرْع؟ لماذا يدعو الإنســان: (بارك الله لك)، (بارك فيك)، (بارك عليك) ولا يدعو (بَارَكَكَ الله)؟ ويَدُلُّ هذا على أنَّ الدُّعاء المشــروع هو ما كان هكذا، وأمَّا الدُّعاء بقول: (بَارَكَكَ الله) فهذا هو محلُّ النَّظر.

[الجواب]: لأنَّه إذا قال الدَّاعي: (بَارَكَكَ اللهُ)؛ اقتضــى أن تكون تلك النَّفسُ نفسًــا خَيِّرَةً كثيرةَ البَركة، وهذا خِلَافُ ما طُبِعَت عليه النَّفسُ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]، فلا يمكن أن تكون النَّفس البشريَّة مقتصِرةً على الخير، بل لا بُدَّ أن يكون فيها الشَّرُّ والخير؛ لأنَّ المعصيةَ تقع منها، والمعصيةُ من الشَّرِّ، فَلِامتناع وجود هذا قدَرًا؛ امتنع إنشاؤُه دُعاءً.

فهمتم؟! نعيدُ البيان.

نقول: لأنَّك إذا قلت: (بَارَكَكَ اللهُ)؛ يعني جعل ذاتَك كثيرةَ الخيرِ، فلا يصــدرُ عنها إلَّا الخير، ولا يُتصوَّر وجودُ ذاتٍ بشريَّةٍ لا يصدُرُ عنها إلَّا الخير؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لمَّا ذكر

أصـل البشـر قال: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢]، في آيٍ أُخَرَ تدلُّ على أصــل هذا، فلمَّا كان هذا ممتنِعًا قدرًا، امتنع شــرعًا بالدُّعاء، بخلاف قولك: (بارك الله فيك)، و(بارك لك)، و(بارك عليك)؛ يعني أَوْجَدَ منك البركةَ الخارجةَ الَّتي هي تفضُّلٌ محضٌ مِن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ولذلك؛ لا يُشْرَعُ أن يدعوَ الإنسانُ بِقَولِ: (بَارَكَكَ اللهُ)، وإنَّما يقول: (بارك عليك)، أو (بارك فيك)، أو (بارك لك)؛ كما جاء في تلك الأحاديث.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ**»: الله عَزَّوَجَلَّ يقضي بالخير ويقضي بالشَّر.

أَمَّا قضاؤه بالخير: فهو خيرٌ محْضٌ في القضاء والمَقْضِيِّ.

مثال القضاء بالخير: القضاء للنَّاس بالرِّزق الواسعِ، والأمنِ والطُّمأنينة، والهداية والنَّصرِ... إلخ. هذا خيرٌ فِي القضاء والمقضيِّ.

القضاء بالشَّر: خيرٌ في القضاءِ، شرٌّ في المقضيِّ.

مثال ذلك: القحط (امتناع المطر)؛ هذا شرٌّ، لكنَّ قضاءَ الله به خيرٌ.

كيف يكون القضاء بالقحط خيرًا؟! لو قال قائلٌ: إنَّ الله يُقدِّر علينا القَحْطَ والجَدْبَ فتموت المواشي، وتفسُد الزُّروع، فما وجه الخير؟

نقول: استمِع إلى قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم].

إذًا؛ لهذا القضاء غايةٌ حميدةٌ، وهي الرُّجوع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مِن معصيتِه إلى طاعتِه، فصار المقضيُّ شرًّا والقضاء خيرًا.

وعلى هذا فـ(ما) هنا اسمٌ موصولٌ، والمعنى: قِنَا شرَّ الَّذي قضيتَ، فإنَّ الله - تعالى - يقضي بالشرِّ لحكمةٍ بالغةٍ حميدةٍ.

وليست (ما) هنا مصدريَّة؛ أي شرَّ قضائك، لكنَّها اسمٌ موصولٌ بمعنى (الَّذي)؛ لأنَّ قضاء الله ليسَ فيه شرٌّ.

ولهذا قال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيما أثنى به على ربِّه: «**وَالخَيْرُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ**

إِلَيْكَ»، لهذا لا يُنْسَبُ الشَّرُّ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قال الشَّارح وفقه الله:

ذَكَر المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في هذه الجملة بيانَ دعائِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في قوله: («وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ»)، فأخبَر أنَّ الدَّاعي إذا دعا يسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يَقِيَه شَرَّ قضائِه عَزَّوَجَلَّ، و(الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يقضي بالخير والشَّرِّ).

وقضاؤه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالخير والشَّرِّ لا يكون موصوفًا بكونه شرًّا في حقِّه، وإنَّما يكون شرًّا باعتبار المفعول الَّذي هو المخلوق، وأمَّا فعلُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فإنَّه خيرٌ على كلِّ حالٍ؛ لأنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى على أكملِ الصِّفات، فاقتضى أن تكون الأفعالُ الصَّادرة منه أكملَ الأفعال، فقضاءُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لا يتوجَّهُ إليه الشَّرُّ، وإنَّما يكون الشَّرُّ في المقضيِّ، وهو المفعول - أعني المخلوق، الَّذي خلقه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

فمثلًا: مِن قضاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: إنزالُ المطرِ، وهذا المقضيُّ - الَّذي هو المخلوقُ - قد يكون خيرًا إذا ارْتَوَتْ به الأرض، ونبتت الزُّرُوعُ، وامتلأتِ الضُّروع. وقد يكون شرًّا إذا كان مُشْتَمِلًا على الهَدْم والمَحْقِ للدُّورِ والزُّرُوع.

ثُمَّ بيَّن المُصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى مِثالًا زائدًا عمَّا ذكرَه مِن القَحْطِ، وهو قولُه: (استمِع إلى قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١]) إلى آخِر الآية، فذكر أنَّ قضاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بِذَوقِ النَّاسِ بعضَ ما عملوا مِن العقوباتِ (له غايةٌ حميدةٌ)، وهي انكفافُهم عن معصية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ومسارعتُهم للتَّوبة، فجميع قضاء

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خيرٌ باعتبار الحِكَمِ الَّتي جُعِلَ لها.

أمَّا المقضيُّ - وهو المفعول المخلوق - فيتوجَّهُ إليه الوصف بالخير والشَّرِّ.

ولذلك لا يُضافُ الشَّرُّ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإن كان هو خالِقُه؛ بل كما قال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»)؛ ليس معناه: لستَ أنتَ خالقَه؛ بلِ اللهُ خالِقُه، ولكن لا يُضافُ إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ فِعْلَ القضاءِ الَّذي نتجَ منه الشَّرُّ هو خيرٌ على كُلِّ حالٍ، فإنَّ قضاءَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كُلَّه حَكيمٌ.

وقد قال المُصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في بيان هذه الجملةِ: (استمِعْ إلى قول الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ)، وهذا التَّركيبُ لا غَضَاضةَ فيه؛ لأنَّ المأمورَ باستماعِه هو الآية.

ويقع مِن بعض الوُعَّاظ قولُهم: (استمعْ إلى الله وهو يقولُ)، وفي استعمالِ هذا التَّركيب نظرٌ؛ لأنَّه يُوهِمُ أنَّ المُتكلِّم حينئذٍ هو الَّذي يُضافُ إليه الكلام، **فالأدب أن يُقالَ**: (استمعْ إلى قولِ الله عَزَّوَجَلَّ)، إذْ يكونُ الاستماعُ إلى تلك الآيةِ الَّتي قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يكونُ الاستماعُ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في ذلك الحِينِ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تكلَّم بِهذه الآية فيما سلَفَ فيما أنزلَه على النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«**إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ**»: الله عَزَّوَجَلَّ يقضِي قضاءً شرعيًّا وقضاءً كونيًّا، فالله تعالى يقضي على كُلِّ شيءٍ وبكُلِّ شيءٍ؛ لأنَّ له الحكمَ التَّامَّ الشَّاملَ.

«**وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ**»؛ أي لا يقضِي عليه أحدٌ، فالعباد لا يحكمُونَ على الله، والله يحكمُ عليهم، العبادُ يُسأَلون عمَّا عمِلُوا، وهو لا يُسأل: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

«**إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»: وهذا كالتَّعليل لقولِنا فيما سبق: «**وَتَولَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ**»، فإذا تولَّى اللهُ الإنسانَ فإنَّه لا يذِلُّ، وإذا عادى اللهُ الإنسانَ فإنَّه لا يعِزُّ.

ومُقتَضى ذلك أنَّنا نطلب العِزَّ من الله - سبحانه -، ونتَّقي من الذُّلِّ بالله عَزَّوَجَلَّ، فلا يُمكن أن يَذِلَّ أحدٌ والله - تعالى - ولِيُّه، فالمُهمُّ هو تحقيق هذه الولاية.

وبماذا تكون هذه الولاية؟

هذه الولاية تكون بوصفين بيَّنهما الله عَزَّوَجَلَّ في كتابِه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وصفاتُ أَحَدهمَا في القلب، والثَّاني في الجوارح؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: في القلب، ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: هذه في الجوارح؛ فإذا صلح القلب والجوارح نال الإنسانُ الوِلايةَ بِهذين الوصفين.

وليستِ الوِلاية فيمن يدَّعيها مِن أولئك القوم الَّذين يسلُكون طرق الرُّهبان، وأهل البدع الَّذين يبتدِعُون في شَرع الله ما ليس منه ويقولون: نحن الأولياء، فولاية الله عَزَّوَجَلَّ الَّتي بِها العِزُّ هي مجموعةٌ في هذين الوصفين: الإيمان، والتَّقوى.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذًا مِن هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]: (مَن كان مؤمنًا تقيًّا؛ كان لله وليًّا)، وصَدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنَّ هذا الَّذي دلَّ عليه القرآن.

«**وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»: يعني أنَّ مَن كان عدوًّا لله فإنَّه لا يَعِزُّ، بل حالُهُ الذُّلُّ والخُسْرانُ والفَشَل؛ قال الله - تعالى -: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة]، فكُلُّ الكافِرين في ذُلٍّ وهم أذلَّةٌ.

ولهذا لو كان عند المسلمين عِزُّ الإسلام وعِزُّ الدِّين وعِزُّ الولاية؛ لم يكن هؤلاء الكُفَّار على هذا الوضع الَّذي نحن فيه الآن، حتَّى إنَّنا ننظرُ إليهم مِن طَرْفٍ خَفيٍّ، ننظر إليهم مِن طريق الذُّلِّ لنا والعِزِّ لهم؛ لأنَّ أكثرَ المسلمِين اليوم - مع الأسف - لم يعتزُّوا بدينهم، ولم يأخُذوا بتعالِيم الدِّين، ورَكَنُوا إلى مادَّة الدُّنيا وزخارِفها؛ ولهذا أُصِيبُوا بالذُّلِّ، فصار الكفَّار في نفوسِهم أعزَّ مِنهم، لكنَّنا نؤمن أنَّ الكفَّار أعداءُ الله، وأنَّ الله كتب الذُّلَّ على كُلِّ عَدُوٍّ له، قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة]، وهذا خبرٌ مُؤكَّدٌ، ثُمَّ قال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة]، فمَن عادى الله عَزَّوَجَلَّ فهو ذليلٌ لا يمكن أن يكون عزيزًا؛ إلَّا في نظرِ مَن لا يرى العِزَّة إلَّا فِي مثل ما كان عليه هذا الكافر، وأمَّا مَن نظرَ أنَّ العِزَّة لا تكون إلَّا بولاية الله عَزَّوَجَلَّ والاستقامة على دينه فإنَّه لا يرى هؤلاء إلَّا أذَلَّ خلق

الله.

«**تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»: هذا ثناءٌ على الله عَزَّوَجَلَّ بأمرين:

أَحَدُهُمَا: التَّبارك، والتَّاء للمبالغة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو أهل البَركة.

«**تَبَارَكْتَ**»؛ أي كثُرَتْ خيراتُك وعمَّت ووسعتِ الخلق؛ لأنَّ البركة كما قلنا فيما سبق هي الخير الكثير الدَّائم.

وقوله: «**رَبَّنَا**»؛ أي يا ربَّنا، فهو مُنادًى حُذِفَت منه ياءُ النِّداء.

وقوله: «**وَتَعَالَيْتَ**» مِن العلوِّ الذَّاتِيِّ والوصفيِّ، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليٌّ بذاته وعَلِيٌّ بصفاته.

عليٌّ بذاته: فوق جميع الخلق، وعُلوُّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفٌ ذاتِيٌّ أزليٌّ أبديٌّ، أمَّا استواءُه على العرش فإنَّه وصف فِعْلِيٌّ يتعلَّق بمشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والعرشُ هو أعلى المخلوقات، وعليه استوى الله عَزَّوَجَلَّ: يعني علا عليه عُلُوًّا يليق بجلاله وعظمته، لا نُكَيِّفُه ولا نُمثِّله، وهذا العلوُّ أجمع عليه السَّلف الصَّالح؛ لدلالةِ القرآن والسُّنَّة والعقل والفطرةِ على ذلك.

وأمَّا العلوُّ الوصفيُّ: فمعناه أنَّ الله له من صفات الكمال أعلاها وأتمُّهَا، وأنَّه لا يمكن أن يكون في صفاته نقصٌ بوجهٍ مِنَ الوجوه.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا فرغ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِن تعليم الحَسَن ما يدعو به، ختم ذلك بالتَّوسُّل إلى

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بجملةٍ مِن صفاته، وذلك فِي قوله: («إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»)، فكُلُّ هذه الجُمَل هي توسُّلٌ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في قَبُول ذلك الدُّعاء.

ويجوز أن يكون التَّوسُّل بِها مُتعلِّقًا بالجملة الأخيرة في الدُّعاء في قوله: («وَقِنَا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ»).

ويجوزُ - وهو أكمل - أن يكونَ التَّوسُّل مُتعلِّقًا بالجُمَل جَميعِها.

فيكونُ هذا الدُّعاء قدِ اشتملَ على سؤالٍ وطلَبٍ في أوَّلِه، واشتمل على توسُّلٍ وثناءٍ في آخِرِه؛ وهذا أكملُ.

وقد توسَّل الدَّاعي إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بجملةٍ مِن أوصافِه عَزَّوَجَلَّ، فقال: («إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ»)، يعني أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هو الَّذي بِيَدِه القضاءُ؛ لأنَّ الحكمَ كُلُّه له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠]، ولا يقضِي على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أحدٌ مِن خلقه؛ لأنَّ الخلقَ لا مُلْكَ بأيدِيهم.

ثُمَّ توسَّل إليه بِقَولِه: («إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»)، وهذا توسُّلٌ إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بِهذه الصِّفةِ؛ وهو أنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مُعِزُّ أوليائِه ومُذِلُّ أعدائِه، فمَن أعزَّه الله لم يُذِلَّه أحدٌ، ومَن أذلَّه الله لم يُعِزَّه أحدٌ.

ولا يحصلُ للعبد عِزَّةٌ إلَّا بتحقُّقِ وِلاية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى له، فإذا كان الله ولِيَّكَ ومعك، فإنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مُعِزُّك وناصِرُك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون].

وهذه الولاية إنَّما تتحقَّقُ بأوصـافٍ، أكمَلُها: المذكور في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس]، ثُمَّ قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس]، فبالإيمان والتَّقوى تَتحقَّقُ ولاية الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لذلك العبد المُتقيِّ المُؤمن، فيكون الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ناصرَه.

وأمَّا مَن عادى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فإنَّه مُذَلٌّ غيرُ عزيزٍ؛ كما قال في توسُّله: («وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»)، فمن كان عدوًّا لله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُذِلُّه ويجعلُه في الأذلِّين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾ [المجادلة]).

ثُمَّ ختم توسُّلَه بقوله: («تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»)، والمعنى: كَثُرت خيراتُكَ الَّتي تَصِلُ إلى خلقك، وعمَّتْهُم ووسِعَتْهم جميعًا. فإذا قال الدَّاعي: («تَبَارَكْتَ رَبَّنَا»)؛ يعني زادتْ بَرَكَتُكَ وكَثُرَتْ.

وقولُه: («رَبَّنَا») ذكر الشَّـارحُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أنَّ تقدِيرَها: (يا ربَّنا)، **والأصـلُ في الدُّعاء المعهود بالقُرْآن الكريم والسُّـنَّة**: أنَّ العبدَ إذا دعا الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بِهذا الاسـم العظيم (الرَّبِّ) فإنَّه لا يُقدِّم بين يديه (يا)؛ فلا يقولُ: (يا ربَّنا اغفِرْ لنا)، بل يقولُ: (ربَّنا اغفِرْ لنا).

وإذا تأمَّلتَ دُعاءَ الأنبياءِ وجدتَّهُ كذلك.

وقد ذكر الشَّـاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «المُوافَقَاتِ» نُكتَةً لطيفةً في كون الدَّاعي إذا دعا الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ باسـم (الرَّبِّ) لا يذكر حرفَ النِّداء - وهو (يا) -، مع كونه مُقدَّرًا لُغةً، **وذلك لشيئين اثنين:**

* **أَحَدُهُمَا**: مُلاحظةُ تقديم اسـمِ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بحيثُ لا يتَقدَّمُهُ شـيءٌ؛ فإنَّك إذا قُلتَ: (ربِّ اغفر لي) قدَّمْتَ اسمَه، وإذا قُلْـتَ: (يا ربِّ اغفر لي) قدَّمْتَ أداة النِّداء عليه.

* **وثانيهما**: أنَّ أداةَ النِّداء (يا) مَوضـــوعةٌ لنداءِ البعيدِ، واللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قَريبٌ غيرُ بعيدٍ، فهو غيرُ مُحْتاجٍ إلى مُنادَاتِه بِهذه الآلة الَّتي اصطلح عليها أهْلُ اللِّسان، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الموضع: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦].

فهـذه نُكتـةٌ لطيفـةٌ مَبنيَّـةٌ على هـذين المعنيَيْن؛ كمـا ذكر الشَّـــاطِبيُّ في كتـاب «المُوافَقَات».

وقد أورد عليَّ أحدُ الإخوة قولَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان].

والجواب عنه: أنَّه ليس بدعاءٍ، وإنَّما هو خبرٌ.

ثمَّ بيَّن المُصـــنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى معنى قوله: («**وَتَعَالَيْتَ**») بأنَّه إخبارٌ عن عُلوِّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذَّاتيِّ والوصفيِّ، وهذا طريقةُ بعض أهل العلم، **وهو الصَّحيح؛ أنَّ عُلُوَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ينقسم إلى قسمين**:

- **أَحَدُهُمَا**: عُلوُّ ذاتٍ.
- **والآخر**: عُلوُّ صفاتٍ.

وأشرْنا إلى ذلك بقولنا:

عُـلُـوُّ رَبِّـنَـا لَـدَى الـثِّـقَـاتِ   عُـلُـوُّ ذَاتِـهِ مَـعَ الـصِّـــفَـاتِ

وأمَّا الَّذين يقولون أنَّ هناك قسمًا ثالثًا وهو عُلوُّ القهر؛ **فيُجَابُ عنهم**: بأَنَّ عُلُوَّ القهر مردودٌ إلى علوِّ الصِّفات، ولذلك قُلْنا:

أَمَّـا عُـلُـوُّ قَـهْـرِهِ فَـرُدُّوا ... لِسَـابِـقٍ إِذْ مِـنْـهُ يُسْـتَـمَـدُّ

يعني لِعُلُوِّ الصِّفات.



قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وفي دعاء القنوت جملةٌ يكثُر السُّؤال عنها ممَّا يدعو به أئمَّتُنا في قنوتِهم، يقولُون: (هَبِ المُسِيئِينَ مِنَّا لِلْمُحْسِنِينَ)، فما معناها؟

أقربُ الأقوال فيها: أنَّها مِن باب الشَّفاعة، يعني أنَّ هذا الجَمْعَ الكبيرَ فيهم المسيءُ، وفيهم المحسنُ، فاجعلِ المسيءَ هَدِيَّةً للمحسِنِ بشفاعتِهِ له؛ فكأنَّه قِيل: وشَفِّع المحسنين مِنَّا في المُسِيئين.

تَمَّ بحمدِ الله وتوفيقه.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدِّين.



قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ختم المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى هذا الشَّرحَ اللَّطِيف بِبيَانِ جملةٍ يَدعُو بِها النَّاس كثيرًا في دعاء القنوت خاصَّةً، وهي: (هَبِ المُسِيئِينَ مِنَّا لِلْمُحْسِنِينَ)؛ فبيَّن أنَّ المرادَ بِها: سُؤالُ الشَّفاعةِ؛ بأن يقبلَ الله شفاعةَ الصَّالحين مِن الحضور بدعائهم فِي المُسِيئين الحاضرين لذلك الدُّعاء، وهذا مِن الأدعية الَّتي يتناقَلُها النَّاس.

وأدعيةُ القنوتِ الَّتي يَدْعُو بِها النَّاسُ فِي رمضانَ خاصَّةً ألفاظُها تنقسم إلى أربعة أقسامٍ:

* **القسم الأوَّلُ: أدعيةٌ مأثُورَةٌ**؛ وهي البَركة التَّامَّة؛ بأن يدعوَ الإنسانُ بما جاء في القرآن والسُّنَّة، ولا أجمعَ ولا ألطفَ ولا أنفعَ مِن دعاءٍ واردٍ في الوحي.

* **والقسم الثَّانِي: أدعيةٌ جائِزةٌ**؛ كأن يدعُوَ الدَّاعي بشيءٍ مِن مُرادَاتِ النَّاس بلفظٍ لا محظورَ فيه ولا محذورَ منه، فيدعو بقولِه مثلًا: (اللَّهُمَّ آمِنَّا في دُورِنا، وأصلِحْ أئمَّتنا ووُلاة أُمُورِنا)، فهذا دعاءٌ جائزٌ.

* **والقسم الثَّالث: أدعيةٌ محذُورةٌ**؛ وهي الأدعيةُ الَّتي تحتمِل معنًى باطلًا ومعنًى حقًّا، فيكون فيها من الإجمال ما يُوجِبُ إهمَالَهَا والحَذَرَ منها.

ولو قالها الإنسانُ وقصد المعنى الصَّحيح كان دعاؤُه صحيحًا.

ومِن هذه الأدعية المحذورةِ: إيقاعُ الأفعال في غير مواقعِها؛ فإنِّي قد صَلَّيتُ خلفَ إمامٍ فدعا في قنوتِه فقال: (اللَّهُمَّ اقْذِفِ الإيمانَ في قُلُوبنا!)، وهذا خلافُ طريقة الشَّرْع؛ فإنَّ (القذْفَ) فِي الخطابِ القُرْآنِيِّ والنَّبويِّ لا يكون إلَّا فيما هو شديدٌ، والإيمان لطيفٌ، ولذلك لا يصلُح أن يكون مقذوفًا، ولهذا جاء قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الحجرات: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:٧]، فيدعو الإنسان بقوله: (اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ، وزيِّنْه في قلوبنا)، وأمَّا بقوله: (اقذِفْ)؛ فهذا خلاف الشَّرع، فهذا الدُّعاءُ محذورٌ.

* **والقسم الرَّابع: أدعيةٌ محظورةٌ** - يعني ممنوعةٌ -؛ وهي الأدعيةُ الَّتي تشتمل على معنًى باطلٍ ليس غيرُ؛ كقولِ الدَّاعين: (يا مَنْ لا يصِفُه الواصِفون، ولا تراه العيون!)؛ فإنَّ هذا دعاءٌ باطلٌ؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفَ نفسَهُ، ووصفه رسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فكيف يُقال: (لا يصِفُه الواصفون)؟!

ثُمَّ إنَّ قول القائل: (لا تراه العيون) باطلٌ؛ لأنَّ عقيدة أهل السُّنَّة أنَّ رؤية الله في الآخرة تكون عِيانًا بأعْيُن الرَّأس.

وفي المأثور بركةٌ كثيرةٌ وغُنيَةٌ عن تتبُّعِ مثل هذه الألفاظ.

وهذا آخر التَّقرير على هذا الدَّرس.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

تَمَّ إقراء الكتاب فِي مَجلسٍ وَاحِدٍ
بعد صلاة المغرب ليلة الأحد التَّاسع من جمادى الآخرة
سَنَةَ ثمانٍ وعشرين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ
فِي جامع الإيمان بحي النّسيم بِمَدِينَةِ الرِّياض



فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد